الانتفاضة | الثورة

على الرغم من ضآلة فترة الانتفاضة اذا ما قورنت بالحقبة السابقة عليها، فاننا نستطيع ان نعثر على عديد من النصوص الروائية داخل الارض المحتلة تعبر عنها. ومن أهم هذه النصوص يمكن رصد نصّين: «زغاريد الانتفاضة» لمحمد وتد[١١]، و«الجراد يأكل البطيخ» لشحاتة راضي[١٢].

وأهمّ ما يلاحظ على نص الانتفاضة ان البنية الحكائية فيه تأخذ شكل المتوالية بما يفيد بحدوث تكرارها في أي زمن تالٍ من أزمنة الانتفاضة، منذ بدأت حتى اليوم. فنحن، على سبيل المثال، نستطيع ان نقارن غضبة أهل خربة الزبداوي في رواية «زغاريد الانتفاضة» بأية غضبة أخرى فيما بعد. كذلك، فان ما حدث داخل النص من اغتيال المتعاونين مع السلطة الحاكمة أو محاكمتهم هو مشهد ما زال يتكرر حتى اليوم في الارض المحتلة، حتى تنبّهت القيادة الموحّدة للانتفاضة لتكاثر حالات التصفية، فراحت تحذّر من الاغتيال قبل التحقق. وما نراه في هذه النصوص من أمواج الحجارة من الاطفال يتكرر حتى اليوم. ومن الصعب بمكان ان نحاول، هنا، الاشارة الى بعض حالات الانتفاضة دون غيرها. فهذه الصور تتكاثر وتتكاتف كل يوم، بحيث يصعب التوقف عند واحدة منها دون ان تخطف أبصارنا غيرها؛ أو النظر بصورة مختلفة عن اعادة انتاج الدلالة في نص بعينه، دون ان يخطف أبصارنا غيره. ومع ذلك، فسوف نشير، هنا، الى بعض هذه الصور ليدلّنا الجزء على الكل؛ ومن ثم، فان اعادة تركيب الجزئيات يمكن ان يمنحنا تصوّرات واقعية حقيقة. ومن هنا، تتوالى صور الانتفاضة وتتعدّد.

فمن البدهيات، كما أسلفنا، ان تراكم العمل الارهابي وتعدده ضد السكان العرب، انما يصنع، بالتوالي، التحرك التلقائي لما يحدث. وفي النصوص التي بين أيدينا نعثر على عديد من هذه الممارسات. وهو ما يتنبه اليه الروائي حين يصور بريشته المرهفة هذه الملابسات، ان جابر أكثر الشخصيات حماسة وشجاعة في مواجهة التعذيب. قال ملخّصاً ما يحدث:

« ـ يعني الانتفاضة أجت من العدم؟ هي تراكمات داخل كل واحد... اضطهاد... ظلم... سجن... جوع... ضرايب... هدم بيوت... نفي... قتل... تعذيب... مصادرة أراضي... الاسرائيليين بدهم ايّانا نأكل لقمة الخبز ونظل عايشين ميتين. أكثر من هيك لا»[١٣].

وفي موضع آخر، قال عجاج اللداوي:

« ـ هذا النوع من الارهاب والضغط والمجازر هو اللي ولد بواكير المقاومة. وعلى شان هيك بدت المقاومة تأخذ شكلها الثوري من داخل المخيمات. صحيح انها بديت بشكل عفوي، بس شوية شوية صار الناس يتأطروا داخل فصائلهم وتنظيماتهم»[١٤].

لقد تعددت صور التراكم أيضاً؛ فلم تكن صناعة للداخل فقط، وانما كانت أيضاً لما يحدث خارج فلسطين، في الاقطار العربية؛ اذ كان العدو واحداً في جميع الحالات؛ ومن ثَمّ، كان يؤدي العسف والارهاب دائماً الى ردّ الفعل الانتفاضي...».

مطر الحجر

وقد تعوّد زائر الارض المحتلة، في السنوات الاخيرة، على رؤية مشهد مثير: معركة غير متكافئة بين أطفال عزّل، اللهم الاّ من الحجر، وجنود مدجّجين بأحدث ما في الترسانة الاميركية من سلاح.